

دور الشُّعر

في

صناعة الثُّورات

obeikandi.com

## دور الشعر في صناعة الثورات

لم يكن الشعر في يوم من الأيام بعزل عن الحياة العامة وما يدور فيها ، وتولى الشعراء تدوين الأحداث اليومية التي تمر بهم ، يصفونها ، ويتناولون تفاصيلها ويتطرقون إلى ما هو أكثر ، فيعرضون لعلاقة القبائل ببعضها ، وبالأمم المجاورة وما يكتنف هذه العلاقة من تغيرات بالسلب أو بالإيجاب .

وكان الشعر نقلة الانطلاق التي انبعثت منها كبار الأحداث في البيئة العربية ، كما كان الشعراء محرك الثورة الأول ، وأدلة ذلك واضحة ملموسة تنبؤنا بها كتب الأدب ومصادر التاريخ .

فمنذ العصر الجاهلي والشعر في حراك مستمر وتفاعل مع ما مرت به جزيرة العرب من أحداث ، فهذا لقيط بن يعمر الأيادي العربي الأصل والدم والنشأة تتحرك في داخله رابطة الدم ، فيسارع إلى تنبيه قومه إلى الخطر المحدق بهم وبما يبينه لهم كسرى ، ولم يمنعه عمله كاتبا في ديوان كسرى من تنبيه قومه ، وتحذيرهم مما هم فيه من غفلة حرصا على عروبتهم وخوفا عليهم يقول :

مالي أراكم نياما في بلهنية  
وقد ترون شهاب الحرب قد سـطعا  
فاشـفوا غـلـيـلي برأي منكم حصد  
يصبح فؤادي به ريان قد نـقـعا  
صـوفـوا جيـانكم وأجلـوا سـيـوفكم  
وجددوا للقسى النبل والشـرعـا

لا تثمروا المال للأعداء إنهم  
 إن يظهروا يحتوكم والتلاد مـ مـ مـ  
 يا قوم إن لكم من إرث أولكم  
 مجدا أحاذر أن يفنى وينتقط ما  
 ما إذا يرد عليكم عز أولكم  
 إن ضاع آخره أو ذل واتضمم ما؟  
 يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غير را  
 على نساتكم كسرى وما جمـ مـ مـ  
 هو الفناء الذي يجتث أصلكم  
 فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمـ مـ مـ؟  
 قوموا قياما على أمشاط أرجلكم  
 ثم أفرعوا قد ينال الأمن من فزع ما  
 وتلدوا أمركم لله دركـ مـ مـ  
 رحب الذراع بأمر الحرب مضطـ مـ مـ  
 هذا كتابي إليكم والنذير مـ مـ  
 لمن رأي منكم رأيا ومن سمـ مـ مـ  
 وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل  
 فاستقيظوا إن خير العلم ما نفـ مـ مـ

فهو يذكرهم بمز أولهم ورفيع مجدهم ، طالبا منهم المحافظة عليه ، ومحذرا من  
 الغفلة ، والا يفرهم رغد العيش ، وما هم فيه من نعمة ويسار ، كما يطلب منهم أن

يقلدوا أمرهم قائداً قويا يقوم بأمرهم خير قيام ، وقد آنت النصيحة أكلها ، وتحقق له ما أراد .

وفي العصر الجاهلي - أيضا - عندما أراد الحارث بن عباد أن يحقن الدماء ويوقف الحرب التي استعرت بين بكر وتغلب ، وأودت بحياة أرواح كثيرة من القبيلتين ، فأرسل ابنا له يدعى ( بجير ) مع وفد من عقلاء قومه ، ليعرضوا على المهلهل قتل بجير ثارا لكليب أخي المهلهل ويتوقف القتال بين القبيلتين ، وقبل المهلهل هذا العرض ، ولكنه أمسك ببجير وشد عليه فحزرقبته وقال عند قتله : ( بؤ بشسع نعل كليب ) . ولما عاد الوفد وأخبروا الحارس بن عباد بما كان من أمر المهلهل وشططه ، ثارت حميته ، وقام إلى مهرة يسميها النعامه ، فجزناصيتها ودعا قومه إلى القتال ، واندفع وهو ينشد مرتجلاً هذه الأبيات :

كل شيء مصيره لزوال	غير ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعا	ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قل لأم الأغر تبكي بجيرا	ما أتى الماء من رعوس الجبال
لهف نفسي على بجير إذا ما	جالت الخيل يوم حرب عضال
وتساقى الكمامة سما نقيعا	ويدت البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه تدعو	يا لبكر غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لا صلح حتى	نملاً للبيد من رعوس الرجال
وتقر العيون بعد بكاها	حين تسقى الدما صدور العوالي
أصبحت وائل تعج من الحر	بـ عجيج الجمال بالأتقال
لا بجير أغنى قتيلا ولا ره	ط كليب تراجروا عن ضلال

وإني بحرهما اليوم صال  
فأبت تغلب علي اعتزالي  
قتلوه ظلما بغير قتال  
إن قتل الكريم بالشسع غال  
قد شربنا بكأس موت زلال  
ما سمعنا بمثله في الخوالي  
لنحت حرب وائل عن حيال  
ليس قولي يراد لكن فعالي  
جد نوح النساء بالإعوال  
شاب رأسي وأنكرتني العوالي  
للسرى والغزو والأصوال  
طال ليلى على الليالي الطوال  
لا غتاق الأبطال بالأبطال  
واعدلا عن مقالة الجهال  
ليس قلبي عن القتال بسال  
كلما هب ريح ذبل الشمال  
لجبر مفكك الأغلال  
لكريم متزوج بالجمال  
لا نبيع الرجال ببيع النعال  
لجبر فذاه عمي وخالي

لم أكن من جناتها علم الله  
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا  
وأشأبوا ذوابتي ببجير  
قتلوه بشسع نعل كليب  
يا بني تغلب خذوا الحذر إنا  
يا بني تغلب قتلتم قتيلا  
قربا مربوط النعمامة مني  
قربا مربوط النعمامة مني

قرباها لحي تغلب شوقا      لاعتناق الكماة يوم القتال  
 قرباها وقربا لأمتي در      عاد لاصا ترد حد النبال  
 قرباها بمرحفات حداد      لقراع الأبطال يوم النزال  
 ارتجل هذه الأبيات وهو يجوس خلال ديار تغلب حتى نأر لابنه بجير وقتل  
 منهم ما قتل .

ونزولا إلى العصر العباسي ، كان الشعر الشرارة التي أشعلت نكبة البرامكة  
 ونهبت الخليفة هارون الرشيد من غفلته بعد أن استشرى نفوذ آل برمك حتى  
 سيطروا على كل شيء ، وأمسكوا بمقاليد الأمور ، وصاروا يصرفون شؤون الدولة من  
 وراء ظهر هارون الرشيد ، فما كان من المطلعين على حقيقة الأمر إلا أن يرسلوا له  
 جارية تنشد على مسامعه قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ  
 وَشَفْتِ أَنْفُسَنَا مَا تَجِدُ  
 وَإِسْمُكَ تَبْدُتُ مَرَّةً وَاجِدَةً  
 إِيْمًا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ  
 زَعْمُوهُمَا سَأَلَتْ جَارَاتِهِمَا  
 وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبَّتْ رِدُّ  
 أَكْمَا يَتَعَنَّتُنِي تُبْصِرُنِي  
 عَمَّ رُكْنُ الْأَسَةِ أَمْ لَا يَقْتَصِبُ؟

صحيح أنه كانت هناك نية لهارون في تعديل الأمور، ولكنه عندما سمع غناء  
 الجارية وهو يتجول في حراقتة في نهر دجلة بجوار قصره انتبه من غفلته ، وقام من  
 فوره واستدعى آل برمك ، وبلغت به الثورة ذروتها فلم يشفع لربيته توسلها إليه أن

يعفو عنها، وهي تقول له : يا سيدي أنا مريبتك ، وهذه خصلات من شعرك ، وكان ما كان وما حل بآل برمك من تنكيل .

ويبدو أن الرشيد قد ندم ، فقد روي عنه أنه كان يقول : لعن الله من أقراني بالبرامكة ، فما وجدت بعدهم لذة ولا رجاء ، وودت والله أنني شطرت نصف عمري وملكي وأني تركتهم على حالهم .

واستمر الشعر يذكي أتون الثورة ، ويشعل أوارها في المصر الحديث فهذا الشاعر يتخذ من التهكم والسخرية وسيلة للإثارة والحض على التمرد ، استمع إلى الشاعر معروف الرصافي بقول :

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم

داموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم

وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتعلموا

ودعوا التفهم جانبا فالخير أن لا تفهموا

وثبتوا في جهلكم فالشر أن تتعلموا

أما السياسة فاتركوا أبدا وإلا تندموا

إن السياسة سرها لو تعلمون مطلسم

والعدل لا تتوسموا والظلم لا تتجهموا

من شاء منكم أن يعيش اليوم وهو مكرم

فليس لا سمع ولا بصر لديه ولا فم

لا يستحق كرامة إلا الأصم الأبكم

ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهم

فالعيش وهو منعم كالعيش وهو منعم  
فارضوا بحكم الله مهما كان فيه تحكم

وإذا ظلمتم فاضحوا طربا ولا تتظلموا

إن قيل : هذا شهدكم من لقولوا : علقم

أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم

أو قيل : إن ثماركم سيل ، فقولوا : مفعم

أو قيل : إن بلادكم يا قوم سوف تقسم

فتحمدوا وتشكروا. وترنجوا وترنموا

## المصادر

- ١- هارون الرشيد ، منصور عند الحكيم ، دار الكتاب العربي ص ١٠٦ وما بعدها .
- ٢- تاريخ الأدب العربي ( العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف .
- ٣- تاريخ الأدب العربي ( العصر العباسي الأول ) ، شوقي ضيف ، دار المعارف .
- ٤- ديوان معروف الرصافي ، دار المعارف .